



MIDDLE EAST RESEARCH AND STUDIES

Source : AN NAHAR
Date : 1/9/94
Photo No. : 225

مئة عام من العزلة

يحتفل اليوم العقيد معمر القذافي بيوبيله الفضي في السلطة. ولكن، قد يسأل سائل، هل ثمة ما يدعو للاحتفال؟ فالعقيد يعرف سنة الحياة وان يكن يجمل قانون التاريخ، وهو يعرف حكما، او انه سيعرف اليوم، ان ما تثيره الاعياد الاولى من بهجة لا يقارن بما توظفه الاحتفالات المتأخرة من ذكريات، مهما تكن جميلة، وان ألق اليوبيل يغيب عندما ينعدم الحب بين الزوجين. والحب هو تحديدا ما يفقده العقيد من الشعب الذي افتقرن به، حتى لا نتكلم عن الطلاق بينه وبين المحيط الشعبي العربي الذين طالما غازله، شرقيا كان ام مغربيا.

فالذين تيمتهم يوما ثورة الفاتح من سبتمبر تواروا عن الانتظار، وبات الذين يحتفلون مع العقيد وبالعقيد لا يتجاوزون عدد اصابع اليد الواحدة، بعدما نصب "المد الثوري" واضطر قائد "الجمهورية" الى الاحتجاب عن ميدان العمل العربي، فضلا عن الديبلوماسية العالمية. ولعل ما يميز هذا العيد الخامس والعشرين انه يحل بعدما كدنا ننسى مجرد وجود العقيد، اذ لم نعد نسمع عنه منذ حادثة اختفاء المعارض منصور الكيخيا.

لكن العقيد ليس من الذين يمكن نسيان وجودهم. وربما يكمن هنا الدرس العميق لهذا اليوبيل: انه يذكرنا بان ما سمي النظام العربي الجديد يحتمل الكثير من بقايا النظام القديم، والنظام الليبي احدها (وان لم يكن الوحيد). او ترى الاصح هو ان بقايا النظام القديم عرفت كيف تتعايش مع النظام الجديد، على رغم الحملات، واحيانا الحصار، الموجهة ضدها.

بطبيعة الحال، ليس محسوما ان تكون انظمة النظام الجديد، اذا جاز التعبير، افضل من ارث النظام القديم. بل لنا في ما آلت اليه دول الخليج، وهي باتت عراية العصر الجديد، صورة مخيفة للمستقبل العربي. كما ان تطور (او تراجع) الوضع المصري، الذي كان صلة الوصل بين القديم والجديد، يدحض معظم المقولات التي تنبأت بانعكاسات ايجابية بالضرورة لسيطرة العصر الذهبي الامبركي. بهذا المعنى، لا فضل للجديد على القديم. فالقمع قمع، والانفتاح مافيات، والسياسة عسكر او رجال دين.

ومع ذلك، يبقى ما ينبئنا به يوبيل العقيد نشازاً. فبمعزل عن فضائل هذا النظام او ذلك، نلمس اليوم، مع ذكرى الفاتح من سبتمبر، ان العالم العربي قادر على التعايش الى ما لا نهاية مع كل مساوئه وان القدرة على التغيير تنحصر في القدرة على التراجع. هكذا، عندما يحتفل العقيد بيوبيله في العزلة، يومئ لنا بتفشي المرض. وكأنه ببقائه، وعزله يعلن عن بقاء العرب في "مئة عام من العزلة".

سمير قصير